دراسة في الحديث النبوي الشريف
تعليم اللغات المحتاج إليها*

الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس**
تحقيق الأستاذ محمد الصالح رمضان

زيد بن ثابت قال : "أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أتعلم له كتاب يهود قال إني والله ما آمن يهود على كتاب قال : فما مرّ بي نصف شهر حتى تعلّمته قال فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم".

رواه الترمذي وحسنه ورواه غيره.

البيان

لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة مهاجرا كان بها وبضواحيها مع الأوس والخزرج اليهود، فأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم وكتب بينه وبينهم عهدا وكانت الكتب تدور بينه وبنيهم في الشؤون والمصالح من الطرفين

---

*. من كتاب "من هدي النبوة" للإمام عبد الحميد بن باديس (جمع وتصنيف ومراجعة وتعليق وتقديم الأستاذ محمد الصالح رمضان).

**. رائد الإصلاح في الجزائر ومؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

فكانوا يكاتبونه بالخط العبراني "كانت لغتهم العربية ولكنهم كانوا يكتبون بالخط العبرى"[1] فأمر النبي صلى الله عليه وسلم كاتبه زيد بن ثابت أن يتعلم الخط العبري ليكتب له إليهم ويقرأ له ما يرد عليه منهم فيكون على يقين من كلامهم إليه وبلوغ كلامه إليهم، وما كان ليحصل هذا اليقين – وهم ليسوا بمحل الثقة – لو تولى ذلك واحد منهم. فقد لا يكتب عنه كل ما يقوله لهم وقد لا يقول له كل ما كتبوه إليه.

فتعاطى زيد تعلم الخط العبراني. فما مضى عليه نصف شهر حتى حذقه وتولى الكتابة عن النبي صلى الله عليه وسلم والقراءة له.

الفوائد والحكم

الأولى : كل قوم تربط بينهم المصالح لا بد لهم من التعاون ولا يتم التعاون إلا بالتفاهم والتفاهم بالمشافهة والكتابة فعلى القوم المترابطين بالمصلحة أن يفهموا بعضهم لغة بعض وخطه، وبقدر ما تكثر الأقوام المترابطة بالمصلحة تكثر اللغات والخطوط، ويلزم تعلمها لأن العلة هي الحاجة. وسواء كانت المصلحة التي تربط الأقوام عمرانية أو عملية لأن المصلحة من حيث هي مصلحة محتاج إلى تحصيلها والنبي صلى الله عليه وسلم أمر زيدا بتعلم الكتابة لأن اللغة كانت عبرية، ولو كانت لغة أخرى لأمره بتعلمها لعلة الحاجة، والحكم يدور مع العلة[2] وقد جاء عن زيد

1. ومن المؤسف ان تكون لغتنا العربية ثم يفضل أناس عليها الأجنبية في الحديث والتعلم والتعليم والكتابة والقراءة مع قدرهم على العربية.
2. وجودا وعدما.

من طريق أخرى -ذكرها الترمذي- أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يتعلم السريانية.

فنحن اليوم وقد ربطت بيننا وبين أمم أخرى مصالح، علينا أن نعرف لغتهم وخطهم كما عليهم أن يعرفوا لغتنا وخطنا.

الثانية : هذه السنة أصل اتخاذ الكتبة والتراجمة في الدولة وما يشترط فيهم من العلم والأمانة

الثالثة : كان في إمكان النبي صلى الله عليه وسلم أن يكاتبهم بالخط العربي ويلزمهم أن يكاتبوه به. ولكن تسامح الإسلام واحترامه لمحترمات الأمم في دينهم وقوميتهم قضيا بترك اليهود يكتبون ويكاتبون بخطهم. فأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على ما أرادوا وكلف هو من تعلم خطهم وتركها لأتباعه سنة بعده[1].

الرابعة : هذه السنة أصل في ضبط أمور الدولة بالكتابة فيما يصدر عنها وفيما يوجه اليها ومثلها ضبط كل المعاملات فهي أصل التسجيل على العموم وهكذا نجد سنة النبي صلى الله عليه وسلم -إذا تتبعتها- قد قررت -بالفعل- أصولا كثيرة من أصول المدنية والعمران[2] ولهذا كان على قارئها أن يتناولها للفهم والاستنباط والتطبيق على الأحوال.

---

1. وما أشد حاجة الداعية الإسلامي خاصة في هذه الأيام إلى اللغات لدعوة الأقوام بلسانهم.
2. فتعسا لأناس يصفونها بالتخلف والرجعية.